التحرر الوطني الفلسطينية، كحركة مشروعة ضد استعمار استيطاني ـ احلالي ـ عنصري، ندرت سوابقه في التاريخ. ولنا ان نقدّر الجهد الذي بذلته هذه الدبلوماسية لاعادة التذكير بالشعب الفلسطيني ووجوده وسط بيئة دولية لها شواغلها الكثيرة. ومن المفترض ان الانتشار السياسي الفلسطيني في قارّات العالم الست، في الوقت الراهن، لم يأت اعتباطاً، وانما وقفت خلفه دبلوماسية مكافحة (بمساندة عربية غير منكورة) حتى استطاع الدبلوماسي الفلسطيني ان يتبوّأ مقعده في معظم دول العالم ومختلف المحافل الدولية. على سبيل المثال، يمكن الاشارة الى الجهد الدبلوماسي الذي بذل كي تأخذ م.ت.ف. مقعد العضو كامل العضوية في الجامعة العربية؛ ومقعد المراقب الدائم في الامم المتحدة؛ ومقعدها على قدم المساواة مع الدول العربية في اطار الحوار العربي ـ الاوروبي؛ والامثلة ولا شك كثيرة. لقد اخترقت الدبلوماسية الفلسطينية بذلك آفاقاً سياسية على ساحات دولية كانت تعدّ حكراً، لعشرات السنين، على الدبلوماسية الاسرائيلية. وكثيراً ما يشير الدبلوماسيون الفلسطينيون الى الاحباط الذي يشعر به الاسرائيليون، حينما يواجهون بالحجج متعددة البعد التي تدحض مزاعمهم في المؤتمرات والمحافل الدولية؛ وهو ما لم يعتد عليه الاسرائيليون طويلاً.

محدّدات السياسة الفلسطينية

لا تكتمل محاولة قراءة السياسةالخارجية الفلسطينية دون الاقتراب من محدّدات هذه السياسة. ويقصد بالمحددات، في هذا الموضع، مجموع المؤثرات التي تطرح ذاتها على السياسة الخارجية الفلسطينية (أو السياسة الخارجية لأية وحدة فاعلة في العلاقات الدولية)، بحيث تشكّل قيوداً، أو ضغوطاً، معيّنة، سواء عند تحديد أهداف هذه السياسة، أو عند السعي الى تحقيق الاهداف في الحركة والممارسة.

ويمكن القول، ان الأطر المحلية (الفلسطينية) والاقليمية (العربية والاسرائيلية) والدولية، التي تعمل م.ت.ف. في حدودها قد تركت آثارها في السياسة الخارجية الفلسطينية، بمثل ما كانت هذه الأطر موضعاً لمحاولة تهيئتها، من أجل تحقيق أهداف هذه السياسة.

من ناحية أولى، وعلى الصعيد الفلسطيني المحلي، يلاحظ ان سياسة م.ت.ف. لا تعدو كونها ترجمة لواقع الشعب الفلسطيني. لقد انعكست حالة تشتّت هذا الشعب على توجّهات المنظمة وأهدافها، وبخاصة من حيث تعدد التنظيمات الفلسطينية، السياسية والعسكرية، وتباين توجهاتها نسبياً، وهو ما شكّل أحد مدخلات صناعة القرار الفلسطيني على نحو ما ذكر من قبل. الأمثلة بها الصدد كثيرة، فتنظيم «فتح» الذي اختمر على الساحة الفلسطينية منذ أواخر الخمسينات، وأعلن عنه في مطلع العام ١٩٦٥، أسهم في تغيير نظرة المنظمة الى طبيعة العلاقات الفلسطينية ـ العربية. وكان مبدأ الكفاح المسلّح ومبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية للدول العربية من المنطلقات الفكرية لهذا التنظيم، التي أضحت من صلب السياسة الخارجية للمنظمة في معركة التحرير الوطني، فيما بعد.

كذلك، فان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي من بين التنظيمات الفلسطينية التي لا يمكن تجاهل تأثيرها في سياسة م.ت.ف. وهي تتبنّى «الاشتراكية العلمية» كدليل نظري لها، منذ آب (أغسطس) ١٩٦٨[٣٥]. وهذا النهج المتكامل قد لا يتوافر لتنظيم فلسطيني آخر. وقد قدّمت الجبهة الشعبية التراجم والتفسيرات الفكرية لكثير من الأهداف الفلسطينية، مثل هدف الدولة الديمقراطية العلمانية[٣٦]، وفلسطين المستقبل، ومضمون الكفاح المسلّح. كما كانت معارضة الجبهة